علي المؤمن

المستشار الثقافي للامين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

مسارب العدوان في الفكر الصهيوني(*)

الفكر الصهيوني وريثاً

تشير الآيات القرآنية التي وردت في بني اسرائيل أو اليهود الى نوعية الممارسات التي طبعت تاريخهم وساهمت في تكوينهم، وهي ممارسات لاتقف عند حدود قتل الأنبياء، بل تتعداها الى الافتراء على الله (جل وعلا) والى كثير من أنواع الفساد في الأرض. والحقيقة ان هذا النزوع المتجذر في الشخصية اليهودية التاريخية أو مجتمع اليهود التقليدي نحو العدوان والإفساد، لاعلاقة له بالديانة اليهودية وتعاليمها الأصلية، فهناك فرق بين اليهود كعصبية تاريخية وبين اليهودية كديانة سماوية، وفرق آخر بين اليهود كأفراد و مجتمعات انسانية قائمة وبين العصبية اليهودية التاريخية، فاليهودي كانسان لايمكن أن يتحمل أوزار العصبية التاريخية خلال ثلاثة آلاف عام، إلا إذا أصبح جزءاً منها وامتداداً لها، أي انّ اليهودي له الحق في العيش في هذا العالم وممارسة ما يفرضه عليه انتماؤه

(*) بحث مقدم الى الدورة الثالثة عشرة لمجمع الفقه الاسلامي، الكويت ـ كانون الاول/ديسمبر ٢٠٠١م.

الديني من عبادات وطقوس، حتى في ظل الدولة الاسلامية، فذلك ما تقره الشريعة الاسلامية بكل وضوح. وما نريد أن نخلص اليه هنا هو أننا حين نتحدث عن اليهود فاننا نعني **العصبية اليهودية التاريخية** وليس الديانة اليهودية أو اليهودي كانسان.

انّ من أكبر الآثام التاريخية التي ارتكبها اليهود بحق ديانتهم هو **التحريف** الذي ألحقوه بها، وهو ما لاتخفيه مصادر الفكر اليهودي. فالتوراة ـ المختلَف عليها والتي تشتمل على خمسة أسفار من العهد القديم ـ بعد أن فُقدت عقيب وفاة موسى(ع)، عمد بعض الكهنة بعد عدة قرون على وفاة الكليم(ع) الى إملاء بعض التعاليم والأسفار ونسبوها اليه. كما أن أسفار الأنبياء والكتابات في العهد القديم منسوبة ـ هي الأخرى ـ الى كهنة وأحبار عاشوا متأخرين بعدّة قرون عن هؤلاء الأنبياء. ولانريد الدخول في تفاصيل عملية الاختلاق والتحريف هذه، إذ أنها من القضايا التي أُشبعت بحثاً، ويكفي انّ «ول ديورانت» يؤكد أنه لم تبق من شريعة موسى(ع) سوى الوصايا العشر[1]. أي انّ العهد القديم ضم بين دفتيه الصحيح والمحرف والموضوع، مع عدم امكانية الفصل بينها بعد ان اختلطت ببعضها وانتهت الى مضمون وشكل موحد.

كما وضع الأحبار التلمود بعد حوالي قرنين على ولادة عيسى(ع)، وجعلوه شريعة بني اسرائيل، وهو يحوي على تعاليم شفوية وشروحات وتفاسير كتبها الأحبار في أزمان مختلفة، وأصبح التلمود قريناً للتوراة.[2] واستمرت مصادر الفكر اليهودي بالتبلور بظهور عدد من المؤلفات، أهمها ماكتبه الفيلسوف اللاهوتي اليهودي **موسى بن ميمون** في القرن الثامن الهجري، ثم اكتملت بما عرف بـ **«بروتوكولات حكماء صهيون»**[3]، الذي يعد النظام الأساسي المعاصر للعصبية اليهودية التاريخية، والتي اطلق عليها فيما بعد «الصهيونية».

وما نريد أن نخلص اليه في هذه المقدمة هو ان اليهودية مرت بمخاضات متعددة في مسارها التاريخي، نتج عنها عدة أنواع من اليهودية، هي:

أولاً: اليهودية السماوية، وهي دين أنبياء بني اسرائيل، ولاسيما موسى(ع)،

وكتابها هو التوراة الأصلية التي أوحى الله تعالى بها الى موسى(ع)، وبعض أسفار الأنبياء الصحيحة وزبور داود(ع) وامثال سليمان(ع) وغيرها من المدونات الأصلية. وهي ديانة يتعامل معها الاسلام كأية ديانة سماوية أخرى: **«ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكراً للمتقين»**[٤]، **«ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين»**[٥]، **«وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط»**[٦]، **«قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيّون من ربهم لانفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»**.[٧] وهذه اليهودية اندثرت بمرور الزمن بسبب ما تعرضت له من تحريف شامل.

ثانياً: اليهودية المحرّفة، وهي النسخة المحرفة عن اليهودية السماوية التي طالتها أيدي الرهبان والكهنة وفلاسفة اليهود عبر التاريخ، وامتزجت بالأساطير والخرافات والادعاءات الغريبة، وبرزت بالتدريج على شكل «عصبية يهودية» مزجت بين العصبية الدينية والعصبية القومية والآيديولوجية الأرضية الخاصة. وقد تحدث القرآن الكريم صراحة عن هذا الاتجاه الذي بلغ فيه اليهود مقداراً غير محدود من الجرأة على الله تعالى حتى في زمن موسى(ع)، بل وفي وقت نزول آيات الله تعالى: **«وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون»**[٨] **«ألم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلّوا السبيل * والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً * من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه»**[٩]، **«فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله»**.[١٠] هذا فضلاً عن ضغط الحوادث التاريخية التي مرّ بها اليهود، والتي ساهمت في خلق هذه **«العصبية»** المركبة، ومن أبرزها صراعهم الدائم مع الرسالات وقتلهم الأنبياء، وممارسات أو ردود أفعال الشعوب المجاورة لهم أو المتعايشة معهم، والذي نتج عنها اضطهاد وارهاب وتشتت اجتماعي وجغرافي. وتولّد عن هذه العصبية مشاعر متفردة متناقضة لدى المجتمعات اليهودية أصبحت جزءاً من آيديولوجيتها وتكوينها النفسي، من

أبرزهـا **التمايز** عن باقي شعوب العالم والتعالي عليها،باعتبار أن بني اسرائيل هم **«أحبـاب اللـه»**، و **«شعب الله المختار»**! الذي يتفرد بحمل الرسالة الالهية التاريخية التي لابـد ان يطبقهـا على كل الارض دون استثناء، وإن أدى ذلك الى تدمير كل شيء!، وقـد تحمل اليهـود - كمـا يصـورون - بسبب هـذه الرسـالة كل أنـواع الاضطهـاد والاحتقـار، فشحن ذلك فيهم ألـوان معقـدة من الحقـد والكـراهية للآخرين والتعطش للانتقـام والانكماش والانعـزال وغيرها من العقد والأزمات النفسية المتـأصلة[١١]. يقـول تعـالى: **«قل يـا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنّوا الموت»**[١٢]، **«لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا»**[١٣]

وهـذه اليهـودية هي التي ظلت الآيديـولـوجية السـائـدة في المجتمعـات اليهـودية، ولم تنفع معهـا حتى تعـاليم الأنبيـاء ونصائحهم وأساليبهم في التغيير، وهي اليهودية التقليدية.

ثالثـاً: اليهـودية الصهيـونية، و هي وريث «العصبية اليهـودية التـأريخية» أو «الآيديـولـوجية اليهـودية المتـوارثة»، إلاّ أنهـا ليس وريثاً دينياً، بل وريثاً علمانياً استعمـاريـاً، وإن وُجـدت بعض النـزعـات الدينية في داخلهـا، والتي تمثل الصهيونية المتدينة»، وهي نزعة أُصولية تختلف عن اليهودية التقليدية.

ولاتدين كل المجتمعـات اليهـودية بـالصهيونية، بل هنـاك حركـات يهودية (علمـانية ودينية) منـاهضة للصهيونية، مثل جمـاعة «القـدس» وطـائفة «نيتـورى كارتا».

والتيـار الصهيوني من اليهـودية، جمع أسباب الافسادوالاستكبار والعنصرية والشر والعدوان والقسوة من اطرافها، بصورة لم يشهدها التاريخ الانساني من قبل، بل ولم يألفها التاريخ اليهودي أيضاً.

مصادر آيديولوجيا العدوان في الفكر الصهيوني

اعتمـد الفكـر الصهيوني الحديث في تشكيلـه وفي اسبـاغ الشـرعية اليهودية

على نفسه، على ثلاثة ألوان من المصادر، تعبّر عن ثلاث مراحل زمنية:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة المصادر الدينية التاريخية التي حرّفها وكتبها الكهنة اليهود على مدى تسعة قرون وبعدّة لغات (قبل الميلاد وبعده). وهي التراث الديني اليهودي الذي يشتمل على العهد القديم (بأقسامه الثلاثة وأسفاره التسعة والثلاثين) والتلمود (بقسميه: المنشا والجمارا). وقد سوّغت نصوص هذه المصادر ارتكاب كل ألوان العنف والعدوان ضد الشعوب غير اليهودية. فهذه النصوص تقسم البشرية الى قسمين: «اليهود» أو العبرانيون، **وهم شعب الله المختار وأبناؤه وأحباؤه وأُمته المقدسة**، ولا تقبل العبادة الاّ منهم. والقسم الثاني هم **«الجوييم»** أو **الأمميون أوالأغيار**، أي غير اليهود، وقد خُلقوا من طينة شيطانية، والهدف من خلقتهم خدمةاليهود، ولم يمنحوا الصورة البشرية إلاّ بالتبعية لليهود ليسهل التعامل بين الطائفتين، وذلك تكريماً لليهود.(١٤) وقد أرّخت هذه المصادر للتاريخ اليهودي المتخم بالحروب والفتن والمصائب. ومن خلال نوعية الحروب التي قادها أنبياء بني اسرائيل وملوكهم ـ كما تصف هذه المصادر ـ أو الفتن والمصائب التي تعرضوا لها او تسببوا فيها، سوّغت الصهيونية لنفسها العدوان بكل الصور على «الجوييم»، سواء العدوان الذي يستهدف الأخلاق والعفاف والجانب المعنوي والروحي، أو العدوان الذي يستهدف الابتزاز المالي والكسب اللامشروع للثروات، أو العدوان والعنف والارهاب الذي يستهدف مقدسات الآخرين وأراضيهم وأرواحهم وأعراضهم، وذلك بدافع الاستكبار والكراهية والحقد والانتقام، اضافة الى دافع البحث عن الحقوق التاريخية الموهومة. ومن هذه النصوص نص ورد في سفر الخروج يخاطب فيه اله بني اسرائيل (حاشا لله تعالى) موسى(ع): «حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح وإن فتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها، واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف».(١٥) وهذا النص المحرف يسوغ للعبرانيين استرقاق الكنعانيين واستعبادهم وقتل جميع ذكورها. وهناك

نص آخر فيه أمر أكثر وحشية وهمجية: «انتقم نقمة بني اسرائيل من المدينيين، فقاتلوا مدين كما أمر الرب موسى، وأقتلوا كل ذكر فيها، وسبى بنو اسرائيل نساء مدين وأطفالهم، ولم يرض موسى عن كل ما حصل، فقد ترك جندُه الأطفال أحياءً فسخط موسى وقال لهم: فالآن اقتلوا كل ذكر من الاطفال، وكل امرأة عرفت مضاجعة رجل اقتلوها».(١٦) وفي سفر يوشع انه قاد العبرانيين باتجاه أريحا «فقتلوا جميع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر».(١٧) وقد لانحتاج هنا الى اثبات كذب ما ينسبه العهد القديم من روح شريرة الى الأنبياء ولاسيما موسى(ع) الذي قال فيه تعالى: **«واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً»**.(١٨) والكليم(ع) نفسه طالما نهى قومه عن الكذب والافتراء عليه وعلى الله تعالى: «قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذباً».(١٩)

كما جاء في التلمود مجموعة فقرات تنص على انّ: أرواح اليهود تتميز عن باقي أرواح البشر بأنها جزء من الله والابن جزء من أبيه وانّ المسيحيين من نسل الشيطان، والاسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، والفرق بين درجة الانسان والحيوان بقدر الفرق بين اليهودي وغير اليهودي، والله لايغفر ذنباً ليهودي يرد للأُممي (غير اليهودي) ماله المفقود.(٢٠)

المرحلة الثانية: المؤلفات الوسيطة التي وضعها حكماء اليهود في عصر ازدهار الحضارة الاسلامية، ولاسيما مؤلفات موسى بن ميمون، إذ يؤكد ابن ميمون في كتابه **«الاضطهاد»** انفراد عنصر بني اسرائيل في قربه الى الله وكونه معصوماً، وانّ الله عاقب بعض الأنبياء لأنهم انتقدوا بني اسرائيل وطالبوهم بتجنب الفساد، ومنهم النبي ايليا، الذي نفاه الله الى برية دمشق، والنبي اشعيا الذي قتله الله على يد الملك منسي، وكذلك النبي موسى والنبي هارون اللذان عاقبهما الله بأن فصلهما عن بني اسرائيل ومنعهما دخول فلسطين،(٢١) إذ جاء في سفر العدد: «فقال الرب لموسى وهارون: بما أنكما لم تؤمنا بي ولم تقدّساني على عيون بني اسرائيل؛ لذلك لن تدخلا أنتما هذه الجماعة الى الأرض التي أعطيتها اياها».(٢٢) وفي نصوص ابن ميمون تبرز العصبية اليهودية التاريخية

بأبشع صورها، وعلى حساب الانبياء والأوصياء. ولايكتفي ابن ميمون بذلك، بل يقول؛ بأن «الفرق بين المسيحية والاسلام وبين اليهودية كالفرق بين انسان حي وبين صورته المنحوتة في خشب أو فضة أو ذهب أو حجر».(٢٣)

المرحلة الثالثة: النصوص الحديثة، وهي التي دوّنها أو قالها مؤسسو اليهودية الصهيونية وحكماؤها وروادها وقادتها، وهي في مجموعها قولبة عصرية لمقولات تاريخية منتقاة وأدلجة علمانية لتعاليم دينية منتقاة، أيضاً؛ إذ أعادت الصهيونية الروح للمقولات والتعاليم اليهودية التي تدعو للاستعلاء والاستكبار وممارسة الفساد والشر والقتل والتدمير، وفعّلتها بصورة ممارسات وأساليب على الارض. ولعل قراءة استعراضية لمانشر تحت عنوان «بروتوكولات حكماء صهيون» وبعض مقولات هرتزل وجابوتنسكي وبن غوريون وبيغن، تتيح الوقوف على هذه الحقيقة بكل وضوح. ففي البروتوكول الأول من بروتوكولات حكماء صهيون،(٢٤) جاء بأن «حكم العالم يُنتزع بالحرب والارهاب... **الغاية تبرر الوسيلة**، وعلينا ونحن نضع خططنا ألاّ نلتفت الى ماهو أخلاقي وماهو خير ... يجب أن نعلم كيف نصادر الأموال بلا أدنى تردد، إذا كان هذا العمل يمكّننا من السيادة والقوة، وانّ دولتنا لها الحق أن تستبدل بأهوال الحرب أحكام الاعدام، والاعدام ضرورة تولّد الطاعة العمياء، **فالعنف** وحده هو العامل الرئيس في قوة الدولة... يجب أن يكون شعارنا: كل وسائل العنف والخديعة. ان هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول الى هدف الخير. ولذلك يتم ألاّ نتردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخديعة والخيانة»(٢٥). وجاء في البروتوكول السابع: «من أجل أن نظهر استعبادنا لجميع الحكومات الأممية في اوروبا، سوف نبيّن قوتنا لواحدة منها متوسلين بجرائم العنف، وذلك هو ما يقال له حكم الارهاب».(٢٦) وفي البروتوكول التاسع: «لقد خدعنا الجيل الناشيء من الاميين، وجعلناه فاسداً متعفناً بما علّمناه من مبادىء ونظريات معروف لدينا زيفها».(٢٧)

ويقول جابوتنسكي (أحد رواد الحركة الصهيونية)، وهو يؤدلج للعنف

والقتل: «انّ الاقتتال بالسيف ليس ابتكاراً المانياً، بل انه ملك لأجدادنا الأوائل... انّ التوراة والسيف أُنزلا علينا من السماء» ويضيف: **«انّ العالم لايشفق على المذبوحين، لكنه يحترم المحاربين»**. ويقول أيضاً: **«انّ الأحذية الثقيلة هي التي تصنع التاريخ»**[٢٨]. ووظف زعماء الكيان الصهيوني أفكار جابوتنسكي، من بن غوريون وحتى شارون، وكتبوها على الأرض بدماء ضحاياهم الأبرياء، حتى انّ مناحيم بيغن ذكر بأن «التنكر أو حتى تجاهل أفكار جابوتنسكي يعني الخيانة»[٢٩]، ويقول أيضاً: «من الدم والنار والدموع والرماد سيخرج نموذج جديد من الرجال... اليهودي المحارب أولاً وقبل كل شيء، يجب أن نقوم بالهجوم»[٣٠].

وقد نفذت العصابات الصهيونية منذ العقد الأول للقرن العشرين هذه المهمة في فلسطين على أبشع وجه، ثم ورثها جيش الكيان الصهيوني والأحزاب الصهيونية على مختلف اتجاهاتها، التي تبدأ بأقصى اليسار وتنتهي بأقصى اليمين، حتى اندفع بن غوريون وهو يرى نجاح مشروع الارهاب الصهيوني ليقول: **«انّ أمام العرب في اسرائيل ثلاثة خيارات: اعتناق الدين اليهودي، الطرد خارج البلاد، الابادة التامة»**[٣١].

علمانية الفكر الصهيوني

برغم ان الفكر الصهيوني الحديث اعتمد في تشكيله وصياغاته وخطابه العنصري والعدواني على أساطير وخرافات منتقاة من التراث الديني اليهودي ومصادر العصبية اليهودية التاريخية ـ كما مر ـ الاّ أنه فكر علماني لايمت بصلة مباشرة لأي من ألوان التدين أو الفكر الديني أو السلوك الديني. وبالتالي فالآيديولوجية الصهيونية هي استثمار سياسي علماني لأساطير دينية يهودية. وهو ما أقره ودعا اليه رواد الحركة الصهيونية، فمثلاً المؤسس هرتزل كان يقول: **«انني لا أخضع لأي وازع ديني»**[٣٢]، «انّ المسألة اليهودية لاتعني بالنسبة لي مسألة اجتماعية أو مسألة دينية... انها مسألة قومية»[٣٣]، كما لايخفي كون مشروعه الصهيوني هو مشروع استعماري[٣٤]، وهو أيضاً حركة سياسية كما يقول ناشرو

تراثـه: «منـذ عـام ١٨٩٦ أصبح مصطلح الصهيونية مرادفـا للحـركة السيـاسية التي أسسهاثيودور هرتزل»(٣٥)

كمـا انّ زعمـاء الكيـان الصهيوني أكـدوا منـذ قيـام (اسـرائيل) على أرض فلسطين علمانية دولتهم، و أنهـا دولة قـومية تستند الى معتقدات العصبية اليهو دية التـاريخية، وليست دولة دينية. وهـو مايعبّر عنه مطلب تحويل فلسطين الى «وطن قومي لليهود».

وعلى هـذا الأساس فان ادعاءات **«الحقوق التاريخية»** و «شعب الله المختار» و «اسـرائيل الكبرى» و **«حدودك يا اسرائيل من الفرات الى النيل»** و«التميز العرقي» و«إحياء مملكة داود» و «اعادة بناء هيكل سليمان والتجمع حوله» تدخل كلها في حسابـات الفكـر القـومي الصهيوني وليس الديانة اليهـودية. بل انّ زعماء الحركة الصهيونية ـ وكثيـر منهم ملحـدون ـ سلخـوا هـذه الادعاءات أو المقولات من مضامينهـا الدينية ووضعوها في خانة المقولات القومية السياسية؛ لتسويغ علمانية الفكـر الصهيـوني وعلمـانية كيـان (اسـرائيل)، ولعل هـذا هـو من أهم أسبـاب الخلاف بين الأحزاب العلمانية الأساسية (كالليكود والعمل) من جهة والأحزاب السياسية الدينية (مثل كاخ) والاتجاهات اليهودية غير الصهيونية من جهة اخرى.

ومما يؤكـد هذه الحقيقة الاحصاءات الرسمية وغير الرسمية التي تصدر بين فترة واخرى في الكيان الصهيوني؛ فالذين صوّتوا للأحزاب الدينية في الانتخابات البـرلمانية عـام ١٩٤٩ كانت نسبتهم١٢٪ فقط و أصبحت١٣٪ عام١٩٩٢، بينما ظلت تحصل الأحزاب العلمانية على ما يقرب من ٨٥٪ كمعدل عام.

أمـا نسبة الـ٩٠٪ فهم غيـر متدينين (علمانيـون أو ملحـدون أو غير مبالين)، ولكنهم جميعـا يعتقـدون انّ فلسطين هي منحة اليهم من إلههم (يهـوه) الـذي لايؤمن به معظمهم(٣٦)

والنتيجة المهمة التي يفتـرض ان نخـرج بهـا من هـذه الحقيقة تكمن في انّ الصـراع الاسـلامي ـ الصهيوني **ليس صراعـاً دينياً**، أي ليس صراعـاً بين دينين (الاسـلام واليهـودية)، بل هـو صـراع عقـائدي، **بين العقيـدة الدينية الاسـلامية**

والآيديولوجية الصهيونية العلمانية.

فلسطين في الفكر الصهيوني

أرض فلسطين تشكل المركز في الفكر الصهيوني، فهي **«أرض الميعاد»** وهي نواة **«اسرائيل الكبرى»** وهي الحلم الذي يدغدغ المشاعر التاريخية للصهاينة بالعودة وبنهاية مرحلة الشتات. وهي في مجملها أوهام تأسست على أساطير تاريخية، وبكلمة أخرى فهي لَي لعنق بعض النصوص اليهودية التاريخية. ومن هنا جاءت تسمية **(الصهيونية) نسبة الى جبل (صهيون)** في فلسطين وهو جبل مقدس لديهم. وقد أطلق هذه التسمية اليهودي الألماني «ناتان بيرنياوم» في عام١٨٩٠، ويقصد بها الحركة والآيديولوجية التي تعبر عن هدف الشعب اليهودي في العودة الى فلسطين. وهذا الهدف القومي التاريخي يمثل - كما يزعمون - ارادة إلههم (يهوه) الذي اصطفى «فلسطين وطناً لبيته وسكناه»، فقد جاء في سفر التكوين: «قال الرب لابرام: اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التي أريك. فذهب ابرام كما قال الرب، فأتوا الى أرض كنعان. وظهر الرب لابرام وقال: **«لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير، نهر الفرات».**[٣٧] وحينها حلّ العبرانيون في فلسطين كمهاجرين أو مغتربين كما يقول النص التوراتي: «وتغرب ابرام في ارض الفلسطينيين أياماً كثيرة».[٣٨]

وقد حدد المؤتمر الصهيوني الأول في بال بسويسرا عام ١٨٩٧ هدف «المنظمة الصهيونية العالمية» التي تأسست بقرار من المؤتمر بهذه العبارة: «انّ هدف الصهيونية هو اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام».[٣٩] وسوّغت المنظمة - نظرياً - لكل أساليب العدوان والعنف لتحقيق هذا الهدف، بما في ذلك الهجرة الجماعية والغزو والاحتلال والاستيطان ومصادرة أراضي الغير وتشريدهم واستباحة المقدسات والأعراض والقتل والتعذيب. كما قررت المنظمة أن تكون فلسطين أرضاً يهودية خالصة[٤٠]، وأن تكون أراضي الدول المجاورة (لبنان، سوريا والاردن) عمقاً امنياً وامتداداً حيوياً لها؛ تمهيداً

لتحقيق هدف «اسرائيل الكبرى.. من النيل الى الفرات».

والتقت المصالح الصهيونية ـ البريطانية في بدايات القرن العشرين عند نقطة ايجاد وطن قومي لليهود في فلسطين، وهو ما أعلنه آرثرجيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا عام١٩١٧. ثم تحقق هذا الوعد **(البريطاني وليس الالهي)** باعلان بن غوريون عن قيام (دولة اسرائيل)، والذي بدأه بكلمة: **«أرض اسرائيل هي مهد الشعب اليهودي»** محققاً بذلك الاسطورة التاريخية التي تبدأ بعودة العبرانيين لأرض الميعاد وتنتهي بابادة الكنعانيين والفلسطينيين والشعوب العربية المجاورة. وأعادت الحركة الصهيونية حينها تأكيدها على انّ القدس (اورشيلم) هي عاصمة (اسرائيل) الأبدية، وهو خيار تاريخي لاتمتلك العصبية اليهودية باتجاهاتها العلمانية والدينية خياراً آخر له.

تهويد فلسطين

«تهويد فلسطين» هو العنوان الرمزي للاستراتيجية العليا للحركة الصهيونية، والتي بدأت بتنفيذها منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، أي في أعقاب انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول مباشرة. وهذا لايعني عدم وجود خطوات سابقة بهذا الشأن، فقد قام بعض أصحاب رؤوس الأموال اليهود في بريطانيا وأمريكا بدعم مشاريع بناء الأحياء والمستوطنات والكنائس اليهودية في فلسطين ابتداءً من عام١٨٤٢، بينها حوالي (٢٧) مستوطنة في القدس وحدها. ونشط هذا التحرك بعد مؤتمر بال عام ١٨٩٧، تصاحبه صيحات رواد المنظمة الصهيونية، ولاسيما «هرتزل» و «نوردو» بتفريغ فلسطين من سكانها ونقلهم الى البلدان المجاورة. وأخذ الاستيطان شكلاً منظماً في أعقاب وعدبلفور عام ١٩١٧ برعاية حكومة بريطانيا وبدعم مباشر من سلطة الانتداب البريطاني الذي بدأ في فلسطين عام ١٩٢٠. وكان الغزو البشري اليهودي يتصاعد تصاعداً مطرداً، حتى بلغ عدد اليهود في فلسطين عام١٩٢٥ حوالي (٧٥٠٠٠) نسمة، اي ما نسبته١٠٪ فقط من عدد سكان فلسطين، وقفز العدد الى (٢٥٠٠٠٠) عام ١٩٢٩، ثم ما يقرب من (٣٥٠٠٠٠) عشية

تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ بقرار منظمة الامم المتحدة. وخلال حرب عام ١٩٤٨ والعام الذي يليه ارتفع العدد الى (٦٠٠٠٠٠) نسمة، وهو ما يعادل٣١٪ من عدد السكان. وتسبب قرار التقسيم واعلان قيام دولة (اسرائيل) الى تهويد القسم الذي اصبح جزءاً من الكيان الصهيوني، ومنه القدس الغربية (التي تشكل حوالى٨٤٪ من مساحة مدينة القدس). وبالتدريج أصبح الفلسطينيون أقلية في هذه المناطق، وهم الذين يطلق عليهم فلسطينو ١٩٤٨ أو عرب الداخل. وتمدد الكيان الصهيوني على القسم الذي أقرت الأمم المتحدة بقاءه عربياً، فاحتلت سلطاته قطاع غزة ومناطق الضفة الغربية خلال حرب١٩٦٧، بل وتجاوزت حدود فلسطين لتحتل شبه جزيرة سيناء (المصرية) ومنطقة الجولان (السورية)، ثم وحّدت شطري القدس تحت سيطرتها، وطبّقت في هذه المناطق أيضاً استراتيجية التهويد، مستخدمة كل اساليب العدوان والشر. واستمر عدد الفلسطينيين بالتناقص من خلال التشريد والهجرة المعاكسة، وعدد اليهود بالتصاعد، حتى بلغت نسبة العرب في فلسطين حوالي١٧٪ واليهود٨٣٪ عام١٩٨٩، وهي النسبة التي كانت عكسية تماماً عام١٩٤٧.[٤١] وبرغم هذه الحقائق التي يقر بها الجميع، حتى اولئك الذين زرعوا الصهاينة في فلسطين ودعموهم بالمطلق، الاّ أن زعماء الحركة الصهيونية يجنون على التاريخ والجغرافية بكل وقاحة وهم يرفعون شعار: «فلسطين أرضٌ بلا شعب لشعبٍ بلا أرض»، وهو ما ترجمته غولدامائير في عام ١٩٦٩ بقولها:«ليس هناك من شعب فلسطيني، وليس الأمر كما لو أننا جئنا لنطردهم من ديارهم والاستيلاء على بلادهم، انهم لاوجود لهم».[٤٢]

وبالطبع فان استراتيجية التهويد لاتقتصر على تهويد الأرض والسكان، بل تستهدف أيضاً التهويد الثقافي والتعليمي، وتهويد القوانين والتشريعات المدنية والقضائية، وتهويد الأماكن التراثية والمقدسات الاسلامية،ويبرز ذلك بشكل أكثر وضوحاً في مدينة القدس وغيرها من المدن المقدسة كالخليل.

الاعتداءات الصهيونية على الانسان والمقدسات

جاء الغزاة الصهاينة الى فلسطين وهم يحملون البنادق ويبيّتون الشر لأرض المقدسات، ففي مطلع القرن العشرين الميلادي بدأ اليهود الصهاينة بتسليح أنفسهم وتنظيم صفوفهم، وانتهت هذه الارهاصات الى مبادرة الوكالة اليهودية في فلسطين الى تأسيس منظمة عسكرية سرية في عام ١٩٠٧ شعارها: «سقطت يهودا بالدم والنار، وستنهض بالطريقة نفسها»، وحملت اسم «هاشومير» بعد عامين، ثم أعيد النظر في برامجها ونشاطها عام ١٩٢٠ لتظهر في اطار منظمة عسكرية جديدة أكثر قوة وعنفاً هي منظمة «هاغاناه». والى جانبها تأسست عصابة مسلحة اخرى تحمل اسم «ارغون»، ثم اندمجت المنظمتان عام ١٩٤٨ ليتشكل منهما جيش الكيان الصهيوني.

وفضلاً عن الأعمال الارهابية التي مارستها هذه العصابات ومن ثم ماعرف بـ **«جيش الدفاع الاسرائيلي»** داخل فلسطين، فان الحركة الصهيونية العالمية مارست ارهاباً منظماً آخر خارج فلسطين، لكنه استهدف هذه المرة اليهود أنفسهم، فقد التقت المصالح الصهيونية مع مصالح حكومات بعض الدول الكبرى عند نقطة اجبار اليهود على الهجرة الى فلسطين، ومن ذلك التنسيق الصهيوني مع النازية في المانيا ومع الشيوعية في الاتحاد السوفيتي والصليبية الاستكبارية في بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية؛ لاستفزاز اليهود في اوروبا والمنطقة العربية والاسلامية، من خلال محاصرتهم سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، والقيام بأعمال عنف وارهاب ضدهم؛ بهدف ترحيلهم عنوة الى فلسطين، ولاسيما بعد أن رفض كثير من اليهود الموزعين على دول العالم المختلفة **فكرة الهجرة الى فلسطين**، حتى اضطر هؤلاء للجوء الى فلسطين هرباً من الاضطهاد المفتعل. وبهذا المخطط تمكنت الحركة الصهيونية العالمية من حشد اليهود في فلسطين.

وفي داخل فلسطين، تعرّض الانسان والمقدسات الى أبشع أعمال العنف والارهاب والعدوان على يد العصابات الصهيونية المسلحة القديمة والجديدة، والسلطات المدنية والعسكرية الصهيونية. ولا شك انّ الكتب والبحوث

والاحصاءات التي تحدثت عن الجرائم والمجازر التي قام بها الصهاينة في فلسطين تعد بالآلاف، وقد لانأتي بجديد في هذا المجال، ولكن نختصر الطريق الى الحقيقة من خلال عرض نماذج للاعتداءات التي قام بها الصهاينة على المقدسات الاسلامية في القدس والخليل، وتحديداً على المسجد الاقصى والحرم الابراهيمي، على اعتبار انّ اليهود يطلقون على المسجد الأقصى اصطلاح «شناعة الخراب»، ويعنون بذلك معبد الاصنام والتماثيل، وهو مصطلح قديم أُسقط على المسجد الاقصى، فيما يعتبرون الحرم الابراهيمي حرمهم وكنيسهم الذي لايحق للمسلمين دخوله.

أولاً ـ مخطط هدم المسجد الأقصى

وهو مخطط قديم، وله علاقة ببعض أساطير الآيديولوجيا الصهيونية، إذ تعتقد هذه الأساطير بأن هيكل النبي سليمان(ع) يقع تحت المسجد المقدس، وانّ المسجد بُني على أنقاض الهيكل. واليهود ينظرون الى اعادة بناء الهيكل نظرة قومية وليست دينية، على اعتبار انّ سليمان هو عندهم ملك قومي ابن ملك قومي وليس نبياً ابن نبي.

وبدأ الصهاينة بتنفيذ هذا المخطط بمصادرة العقارات المحيطة بالمسجد وهدمها أو تصديعها تحت مختلف الذرائع. ثم أخذ المخطط طابعاً جاداً ومعلناً بعد نكسة حزيران/يونيو ١٩٦٧، ففي أواخر هذا العام بدأ الهدم والتنقيب في المساحة الملاصقة لحائط البراق (المبكى)، وعلى امتداد الأسوار الغربية والجنوبية لحرم المسجد، وكان «حي المغاربة» هدفاً مباشراً للهدم، وبلغ عمق الحفريات حوالي (١٤) متراً.

وفي عام ١٩٦٩ استمرت عمليات الهدم من حيث انتهت، وبلغت (٨٠) متراً على طول سور الحرم. وفي العام التالي أخذت الحفريات تمتد بطول (١٨٠) متراً أسفل المنطقة المارة بأسوار الحرم وأبوابه وعلى شكل أنفاق. وبحلول عام ١٩٧٢ وصل التنقيب الى أسفل ساحة المسجد، ورافقها الاستيلاء على مبنى

المحكمة الشرعية الاسلامية الملاصقة للمسجد، وتحويل جزء منها الى كنيس. وفي الأعوام التالية اخترقت الحفريات المساحة التي تقع أسفل السور الغربي، وصولاً الى السور الجنوبي باتجاه السور الشرقي، وتوقفت عند الأروقة السفلية وأروقة المسجد الجنوبية الشرقية، ورافقها ازالة مقبرة تاريخية للمسلمين تضم رفاة بعض الصحابة. وفي عام ١٩٧٧ بلغت عمليات التنقيب المساحة التي تقع تحت مسجد النساء داخل المسجد الاقصى، فضلاً عن تعميق ساحة البراق. ثم تبعتها حفريات جديدة تحت السور الغربي والبدء بشق نفق يبدأ في شرق المسجد الأقصى، وتقرر أن يصل الى غربه، وكذلك حفريات اخرى تحت الجدران الجنوبية بحثاً ـ هذه المرة ـ عن مدافن لملوك بني اسرائيل!، وحاولت وزارة الاديان الصهيونية (المعنية بعمليات التنقيب ـ الهدم) في عام ١٩٨١ أن توصل حفرياتها بنفق اسلامي قديم يقع تحت السور الغربي للحرم.

وتوقفت الحفريات بضع سنوات، حتى عام ١٩٨٦ حين استؤنفت بصورة واسعة، أدت الى اغلاق بعض المنشآت العربية العامة والخاصة، وطرد اعداد كبيرة من السكان العرب خارج القدس القديمة (التي تضم المسجد الاقصى). واتخذ «آريل شارون» الذي كان وزيراً حينها أحد البيوت المصادرة القريبة في المسجد الأقصى منزلاً شخصياً له، لتأكيد تهويد منطقة الحرم القدسي.

وفي التسعينات أيضاً شهدت عمليات الحفر والتنقيب مرحلة اخرى، إذ رسعت مساحة الأنفاق تحت المسجد، وتم ايصال قسم منها الى الجانب المقابل، فيما تم تفريغ كميات هائلة من التراب في مناطق الحفر، الأمر الذي سيؤدي الى انهيار أجزاء من المسجد فيما لو استمرت عملية التفريغ على هذه الوتيرة

ثانياً ـ حرق المسجد الأقصى

وهو العمل الاجرامي الكبير الذي قامت به العصابات الصهيونية في آب/اغسطس من عام ١٩٦٩، وأدى الى اشتعال النيران في أروقة المسجد. ومن أجل التغطية على جريمتها، فان السلطة الصهيونية سجلت الجريمة ضد فاعل

واحد هو صهيوني (من أصل استرالي) الذي نفذ العملية.

ثالثاً ـ محاولات اقتحام المسجد الأقصى

وقد تكررت هذه المحاولات ابتداءً من عام١٩٧٩، حين حاولت جماعة **«امناء جبل الهيكل»** بزعامة الحاخام «غورشون سلمون» اقتحام المسجد الحرام، واعقبتها محاولات جماعة **«هاتحيا»** وجماعة «كاخ» بقيادة الارهابي «مائير كاهانا»، وهي المحاولات التي شجعت المؤتمر الديني اليهودي الذي عقده الحاخامات الصهاينة في القدس في نيسان/ابريل ١٩٨٠ لاتخاذ قرار بالسيطرة على المسجد الاقصى، تمهيداً لتدميره واعادة بناء هيكل سليمان على انقاضه. وتسببت محاولات جماعة الحاخام كاهانا في تدنيس المسجد الاقصى الى وقوع صدامات عنيفة في ساحته بين الفلسطينيين المدافعين عن حرماتهم ومقدساتهم والارهابيين الصهاينة المهاجمين. وكانت محاولتا نسف المسجد الاقصى وقبة الصخرة في آب/اغسطس وتشرين الاول/اكتوبر من عام ١٩٨٢ من قبل جماعة كاخ هي أهم المحاولات التي جرت في عقد الثمانينات. أما المحاولة الأبرز التي اعقبتهما فهي محاولة شارون (الوزير الصهيوني حينها) في ايلول/سبتمبر (٢٠٠٠) بدخول المسجد الاقصى مع الكثير من أنصاره وحمايته وتغطية عسكرية مكونة من (٣٠٠٠) جندي صهيوني، وهي المحاولة التي أدت الى استشهاد وجرح العشرات من الفلسطينيين، وكانت نتيجتها المباشرة اندلاع «انتفاضة الأقصى» المباركة. وفي السياق نفسه تدخل محاولات بعض الصهاينة المتدينين أداء طقوسهم اليهودية داخل المسجد الأقصى، وهو ما حدث لأول مرة وبشكل رسمي في آب/اغسطس١٩٨٩، حين أدى بعض اليهود طقوسهم على أبواب المسجد الأقصى. وبعدها بعشر سنوات تقريبا افتتح رئيس وزراء الكيان الصهيوني موقعاً جنوب المسجد الأقصى يؤدي فيه اليهود طقوسهم، الأمر الذي شجع بعض الزعماء الصهاينة للمطالبة بتقسيم المسجد الأقصى رسمياً بين اليهود والمسلمين. وقد سبقها محاولات غير رسمية، حين طاف ثلاثة صهاينة داخل قبة

الصخـــرة عـــام١٩٦٩، ثم أداء زعيمين صهيونيين لطقـوس دينية داخل المسجـد الأقصى عام١٩٧٣.

رابعاً ـ الاعتداء على المصلين في المسجد الأقصى

في تشرين الثاني/نوفمبـر ١٩٧٩ افتتحت الشرطة الصهيونية مسلسل الاعتداء على المصلين داخل المسجـد الأقصى، بعـد أن أطلقت الـرصـاص عليهم. وفي نيســان/ابريل ١٩٨٢ أطلق جنـدي صهيوني النـار بشكل عشوائي على المصلين. وخـلال انتفـاضة الحجـارة كانت الاعتـداءات تتكـرر باستمرار، ولاسيما خلال صلـوات الجمعة. وفي آب/اغسطس عام ١٩٩٠ اقتحمت الشرطة الصهيونية الحرم القـدسي خـلال صـلاة الفجـر وقتلت (٢٢) مصلياً وجرحت ما يقرب من (٢٠٠) آخرين. وبعـد انـدلاع انتفاضة الأقصى استمرت الاعتداءات على رواد المسجد الاقصى، ابتـداءً من منعهم دخـول المسجـد لأداء الصلاة وانتهاءً بملاحقتهم في ساحات المسجد واطلاق الرصاص عليهم، وهو الأمر الذي لايزال مستمراً حتى الآن.

خامساً ـ الاعتداءات على الحرم الابراهيمي

يضم الحـرم الابراهيمي في مدينة الخليل (في الضفة الغربية) رفات أنبياء الله ابـــراهيم، ويعقـــوب واسحـــاق(عليهم الســـلام). ويـدّعي الصهاينة أنهم أحق بالسيطـرة على الحـرم، ومن هنا بدأوا مخططهم بالسيطرة على مدينة الخليل بعد حـرب حزيـران/يونيـو ١٩٦٧، إذ زرعـوا في العـام التالي عدداً من المستوطنات حـول المدينة، أعقبـه اقـامة حي يهـودي فيهـا (حي الدبويـا)، وانتهى الأمر الى مصـادرة السلطات الصهيونية ـ عنوة ـ ٢٤ ألف دونم من مساحة المدينة (حوالي ثلث مساحة المدينة). وخلال ذلك كان الصهاينة يدخلون الحرم الابراهيمي لأداء طقـوسهم الدينية، وتحـوّل الأمر الى قرار رسمي في عام١٩٧٢، واستغلت جماعة «كـاخ» القـرار لاستبـاحة حـرمة المقام الابراهيمي واقتحامه أثناء أداء المسلمين

الصلاة، الأمر الذي شجع السلطات الصهيونية للسماح لليهود بأداء طقوسهم أثناء أداء المسلمين الصلاة في الحرم الابراهيمي. وبالتدريج تم تقليص ساعات حضور المسلمين في الحرم واطلاقها لليهود، وتحويل الجزء الأكبر منه ـ ومنه المسجد الداخلي ـ الى كنيس يهودي، ومشاركة اليهود للمسلمين في مصلاهم، تمهيداً لتهويد الحرم نهائياً. وخلال ذلك مارس الصهاينة مختلف الأعمال الارهابية ضد رواد الحرم الابراهيمي، كالتهديد والمضايقة والملاحقة والاعتداء بالضرب والقتل. وكانت المذبحة التي تعرض لها المصلون في الحرم على يد المستوطنين الصهاينة في شباط/فبراير ١٩٩٤ هو العمل الارهابي الأبرز، الذي شهدته مدينة الخليل، فقد قتل في هذه العملية (٢٩) مصلياً وجرح العشرات.

المسلمون بين الفعل ورد الفعل

لسنا بحاجة هنا الى تأكيد أهمية موقع فلسطين والقدس عقائدياً وثقافياً وجغرافياً وسياسياً في الخارطة الاسلامية، فاجماع الامة على انّ فلسطين هي القلب في القضية الاسلامية يكفي مؤنة البحث في هذا المجال. ولكن هناك نقطة نرى ضرورة التذكير بها، وهي انّ احتلال فلسطين يعني احتلال جزء من الوطن الاسلامي، وبالتالي فقدان الوطن الاسلامي استقلاله السياسي والجغرافي، وتعرض الأمة للاستهداف في عقيدتها وهويتها، واستباحة المقدسات التي اؤتمن عليها المسلمون، ولاسيما انّ الذي يقوم بهذه المهام ليس عدواً تقليدياً، بل هو مشروع كبير في حجمه وعميق في نظريته وأهدافه العقائدية والسياسية والتاريخية والجغرافية، فضلاً عن خطورته العظمى التي تتمثل في جرأته وطموحه وجديته، ولاسيما أنه ينفذ مخططه في اطار مفارقة يصعب تصورها فضلاً عن تصديقها، إذ أن أصحاب المشروع الذين لايتجاوز عددهم ١٣ مليون نسمة (فيما لو افترضنا جدلاً أن التيار الصهيوني يستوعب جميع اليهود)، يستهدفون وجود وعقيدة وكيان مليار و ٣٠٠ مليون انسان. فهل يمكن تصور هذه المفارقة.. حتى لو وضعنا لها آلاف المسوغات؟!. ومن هنا فانّ جميع الحلول

التي تأتي عبر التفاوض أو التعايش مع هذا العدو وصولاً الى السلام والأمن في فلسطين والمنطقة، هي حلول لاتلامس الاّ سطح القضية، ولعلها لاتدرك انّ فيها عمقاً بالغاً؛ لكي تغوص فيه وتجد من خلال ذلك الحل المناسب. فهذا العدو بقبوله التفاوض أو الصمت ـ أحياناً ـ حيال بعض ردود الفعل الاعلامية والسياسية (المحلية أو العربية والاسلامية) فانه يسخر من خصومه؛ لأنه لن يرضى بما استولى عليه من أراض ومقدسات، ولن يكتفي بما حققه حتى الآن، لكي يقال أنه سيلتزم بعدم القيام بأي عمل عدواني، في حال الدخول معه في اتفاقيات ومعاهدات، كلا بالطبع؛ فالصهيونية لن تتنازل عن هدف «اسرائيل الكبرى».. هذه الامبراطورية التي يراد لها الانطلاق من العدوان على الامة الاسلامية جغرافياً وأمنياً وسياسياً باتجاه تدميرها عقائدياً وثقافياً.

والحقيقة أن المسلمين ظلوا طوال قرن كامل من المشكلة الفلسطينية يتعاملون معها بردود الفعل، باستثناء بعض مواقف الفعل المنفردة، وهذا يدل على ان المسلمين لم يدركوا عمق المشكلة في الواقع، بل في حدود التنظير والأعمال الاعلامية والبحثية.

ونطرح هنا بعض المقترحات التي ربما تتحول آلياً من التنظير الى الفعل فيما لو أصر فقهاء الامة عليها، ومارسوا ـ من خلال مواقعهم العلمية والاجتماعية ـ ضغطاً اقناعياً وعقلانياً على المجتمعات السياسية والمدنية الاسلامية، من أجل تنفيذ ما يترتب عليها. وتأخذ هذه المقترحات شكل الأحكام والفتاوى الشرعية التي ندعو الله تعالى ان يوفق المجمع الموقر لاصدارها بالاجماع في دورته هذه:

أولاً: اصدار فتوى بحرمة أي شكل من أشكال التعامل مع الكيان الصهيوني من قبل المسلمين: (أفراداً وجماعات وحكومات)، وبمقاطعة هذا الكيان المحتل والمؤسسات الصهيونية في كل العالم مقاطعة شاملة: دينية وسياسية واقتصادية وثقافية واعلامية.

ثانياً: اصدار فتوى بوجوب دعم الشعب الفلسطيني بكل مستلزمات البقاء والصمود والجهاد، وبأن الجهاد هو الخيار الوحيد لتحرير الانسان والهوية

والمقدسات والأرض في فلسطين، وجواز صرف الحقوق الشرعية في هذا السبيل. ونود في هذا المجال عرض الرؤية الفقهية للامام الخامنئي، إذ يقول «اذ جاء الكفار واحتلوا بلداً اسلامياً وضربوا الحصار حوله فلا يشك أحد من فقهاء المسلمين قديماً وحديثاً بالوجوب العيني للجهاد بهذا الصدد. وفي غير هذه الحالة فالجهاد الابتدائي هو واجب كفائي. ان الجهاد الدفاعي أظهر مصاديق الدفاع بهذا الشأن وهو واجب عيني». ويضيف بأن انطباق الحكم الشرعي على القضية الفلسطينية واضح.(٤٣)

ثالثاً: اصدار فتوى بقدسية أرض فلسطين بكاملها، وحرمة التنازل عن أي شبر منها الى الصهاينة أو غيرهم، وبأن فلسطين والقدس وكل المعالم الاسلامية فيهما هي حق شرعي للمسلمين جميعاً، وليست مساحات قابلة للمساومة، أي أن التنازل عن أي شبر من فلسطين حق لا يمتلكه الفلسطينيون وحدهم.

رابعاً: اصدار فتوى بحرمة شراء السلع الاميركية والتعامل بها؛ بسبب احتضان الولايات المتحدة الاميركية للمشروع الصهيوني احتضاناً كاملاً ودعمها له دعماً مطلقاً. ويلحق بالفتوى تحذير باصدار فتاوى مشابهة ضد كل الدول والمنظمات والمؤسسات التي تدعم الكيان الصهيوني ومشروعه.

ونود أيضاً أن يؤسس المجمع الموقر لآلية متكاملة تستوعب جميع علماء الاسلام؛ بهدف تجميع الأدوار الفردية في دور جماعي موحد، الأمر الذي يكرّس موقعهم المركزي في دعم قضية أُمتنا في فلسطين، وصولاً الى الامساك من جديد باسلامية القضية وأبعادها الشرعية، وهو الخيار الوحيد للقضية؛ من أجل أن تنعتق من أسر الآيديولوجيات والأفكار التي تحاصرها منذ عشرات السنين. ولا شك أن الصهاينة لا يمكنهم اخفاء ذعرهم من تمسك القضية بهذا الخيار؛ لأن فيه نهايتهم، وقد عبّر عن ذلك بن غوريون مؤسس الكيان الصهيوني بقوله: **«نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا الثوريات ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الاسلام، هذا المارد الذي نام طويلاً وبدأ يتململ من جديد»**.(٤٤)

وقد أثبت الواقع ـ وليس بن غوريون ـ ومن خلال مئات الحوادث أن

الاسلام هو الذي يستطيع وحده حسم الموقف في فلسطين. وأمام غضب الله تعالى واعتصام المسلمين بحبله، لن ينفع الصهاينة أن يقاتلوا في قرىً محصنة أو من وراء جدر «**لن يضرّوكم الاّ أذىً وإن يقاتلوكم يولّوكم الأدبار ثم لاينصرون * ضُربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضبٍ من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصَوا وكانوا يعتدون**»(٤٥)

الهوامش:

١ – انظر في هذا المجال: د. احمد شلبي، اليهودية، رحمة الله الهندي، اظهار الحق، عصام الدين حفني، محنة التوراة على ايدي اليهود، د. جعفر هادي حسن، فرقة القرائين اليهود.

٢ – قصة الحضارة، ج ٢ ص ٣٧١. انظر ايضاً: موريس بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم.

٣ – للمزيد انظر: التلمود شريعة اسرائيل، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة د. يوسف نصر الله.

٤ – انظر: الخطر اليهودي .. بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي، وعبد الله التل، خطر اليهود على الاسلام والمسيحية.

٥ – سورة الانبياء، الآية ٤٨.

٦ – سورة هود، الآية ٩٦.

٧ – سورة النساء، آية ١٦٣.

٨ – سورة البقرة، آية ١٣٦.

٩ – سورة البقرة، الآية ٧٥.

١٠ – سورة النساء، الآيات ٤٤ – ٤٦.

١١ – سورة البقرة، الآية ٧٩.

١٢ – للمزيد انظر: د. شاد عبدالله الشامي، الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية.

١٣ – سورة الجمعة، الآية ٦.

١٤ – سورة المائدة، الآية ٨٢.

١٥ – انظر: د. ابراهيم العاتي، الأديان والمذاهب، ص ٣١.

١٦ – العهد القديم، التوراة، سفر الخروج، ٣٣/٢٧.

١٧ – المصدر السابق، سفر العدد، ٣١.

١٨ – العهد القديم، اسفار الانبياء، سفر يوشع، ٨/٢٧–٢٨.

١٩ – سورة مريم، الآية ٥١.

٢٠ – سورة طه، الآية ٦١.

٢١ – للمزيد انظر: عبدالله التلّ ، خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية.

٢٢ – انظر: سامي محمد عبدالحميد، القدس في اليهودية والمسيحية والاسلام، ص ٦١ – ٦٢.

٢٣ – سفر العدد ، ٢٠/١٣

٢٤ – نقلا عن: سامي عبدالحميد، القدس ، ص ٦٣.

٢٥ – قرارات سرية اتخذها زعماء الحركة الصهيونية العالمية في مؤتمرهم الذي عقد في مدينة بازل السويسرية عام ١٨٩٧، ونشرت ابتداء باللغة الروسية عام ١٩٠٢، وترجمها للعربية محمد خليفة التونسي. ورغم اللغط الذي احاط بالبروتوكولات وحقيقة انتسابها للحركة الصهيونية، الا ان تراث العصبية اليهودية والواقع الذي رسمته حوادث القرن العشرين يثبت انتماء هذه البروتوكولات الى الفكر الصهيوني.

٢٦ – الخطر اليهودي.. بروتوكولات حكماء صهيون، ص ١٠٨ – ١٠٩.

٢٧ – المصدر السابق، ص ١٢٨.

٢٨ – المصدر السابق، ص ١٥٦.

٢٩ – الآيديولوجية الصهيونية، ج ١ ص ٢٦٦.

٣٠ – من كتابه «التجربة والامل»، انظر: يوميات الارهابي مناحيم بيغن، ترجمة: معين احمد محمود، ص ٦.

٣١ – عبد الوهاب المسيري، الآيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، ج١ ص ٢٦٥.

٣٢ – انظر: علي جريشة، حاضر العالم الاسلامي، ص ١٠٢.

٣٣ – انظر: روجيه غارودي، الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية، ص ٢٤ نقلا عن: هرتزل ، اليوميات.

٣٤ – المصدر السابق، ص ٢٦، نقلاً عن هرتزل، دولة اليهود.

٣٥ – المصدر السابق، ص ٢٦، نقلاً عن هرتزل، اليوميات، ج ٣ ص ١٠٥.

٣٦ – المصدر السابق ص ٢٤ نقلاً عن موسوعة الصهيونية واسرائيل ص ١٢٦٢.

٣٧ – سفر التكوين، ١/١٢.

٣٨ – المصدر السابق، ٣٤/٢١.

٣٩ – آلان بوابيه، اصول الصهيونية.

٤٠ – للمزيد انظر: اسعد عبدالرحمن، المنظمة الصهيونية العالمية.

٤١ – للمزيد انظر: بسام محمد العبادي، الهجرة اليهودية الى فلسطين ١٨٨٠– ١٩٩٠م.

٤٢ – من تصريحها لصحيفة صانداى تايمز.

٤٣ – من حديثه في ندوة دعم الانتفاضة الفلسطينية المنعقدة بطهران في تشرين الاول/اكتوبر ١٩٩١.

٤٤ – نقلا عن: عبدالوهاب المسيري، الايديولوجية الصهيونية ج ١ ص ١١٩.

٤٥ – سورة آل عمران ١١١ – ١١٢.